بين يدي التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الذي شرف أهل العلم في كتابه الكريم ، فقال : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ . و رفع قدر العلماء وجعلهم بمنزلة النجوم في السماء ، وخصهم بميراث الأنبياء ، أحمده على ما أسبغ من النعماء، وأجزل من العطاء . حمداً لو ارتقى إلى السماء لصار قمراً منيراً ، ولو نزل إلى الأرض لكساها سندساً و حريراً .

حمداً كثيراً طيب الآلاء***يملأ أرجاء الأرض و السماء.

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل في محكم التنزيل : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ ، بعد شهادته بالوحدانية له ، ثنّى بالملائكة ، و جعل شهادة أهل العلم بعد الملائكة .

و أصلي و أسلم على الرحمة المهداة ، و النعمة المسداة ، رسول رب العالمين . اللهم صل وسلم و بارك عليه ، نبيِّ الرحمة و الحكمة و الهدى ، و العلم و البيان ، اللهم صل وسلم و بارك عليه . فقال ربه تبارك و تعالى عنه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

زكَّى الله قلبه ، و زكَّى لسانه ، و زكَّى بصره ، و أثنى عليه ربه ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

و صدق عبد الله بن رواحة ﷺ ، إذ قال :

فما حملت ناقة فوق ظهرها *** أبر ولا أوفى ذمة من محمد

و يتمثّل برّه ﷺ بهذه الأمة أن أرشدها إلى ما فيه خيرها ، فقال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . و حذّرها مما يجلب لها الحسرة و الغبن يوم القيامة ، حيث قال : « لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ ، عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفناهُ ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أين اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ » .

فكانت أهم الأسئلة التي ترد يوم القيامة على الإنسان : عن عمره فيما أفناه ؟ ، و عن شبابه فيما أبلاه ؟ . و بهذين السؤالين تكون قد انقضت ثلث الأسئلة فيما يتعلق بالوقت و الحياة .

الوقت هو الحياة

الوقت أعلى و أغلى من السيف ، و أعلى و أغلى من الذهب ؛ لأن الإنسان لو فقد الذهب عاش فقيراً ، و لربما مات خفيف الظهر من الذنوب ، ثم يدخل الجنة ، لكن إذا فَقَدَ المرء الوقت فَقَدَ الحياة .

و فقدُ الوقت له صورٌ متعددة ، من أظهرها : تمضيةُ الوقت فيما لا يعود بالنفع الدنيوي أو الأخروي . قال ﷺ : « لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهَا » . و حسرة أهل الجنة ليس على فقد مالٍ ، أو حبيبٍ ، أو شهوة ، إنما يتحسرون على فقدِ ساعة لم يكونوا ليستغلّوها فيما يُرقّيهم في درجات الجنة . و جاء عند الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلاَّ نَدِمَ، قَالُوا: وَمَا نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لاَ يَكُونَ ازْدَادَ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لاَ يَكُونَ نَزَعَ ».

و في صحيح البخاري من حديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ : « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ » .

و لِعِظم قيمة الوقت ، أقسم الله ﷻ بأجزاء منه ، فقد أقسم بالعصر ، و الفجر ، و ليال عشر ، و أقسم بالضحى ، و الليل ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ .

و فضّل الأزمان بعضها على بعض ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ . فاختار ﷻ رمضان ، و عشر ذي الحجة ، و بعض الليالي المباركة ، و اختار يوم الجمعة . فهي أيام فاضلة مباركة ، و هي من أفضل الأوقات .

و من العبارات المشهورة : الوقت هو الحياة . و الوقت ثمين عند العلماء ، و هو مسرح بذلهم و عطائهم ؛ لذلك اهتمّوا به أيما اهتمام ، و يتمثل ذلك في استغلال الوقت في المشي ، و في السيارة ، و في المرض ، و في سكرات الموت .

كذلك الظن بالوقت ، و عدم تضييع شيء منه ، فالدقائق التي نتساهل بها هي في ميزان العلماء عظيمة و دقيقة جداً ، فيحرصون عليها .

و كم في الدقيقة الواحدة من الأعمال الخيرية العظيمة . ففي الدقيقة الواحدة : تقرأ سورة الإخلاص قرابة الأربعين مرة . و من لم يجرب فلن يعرف قدره ، كما قال الشاعر ابن الأمير الصنعاني :

فمن لم يجرب ليس يعرف قدره***فجرب تجد تصديق ما قد ذكرناه

كذلك من عادات العلماء في استغلال الوقت : انتهاز أية فرصة ، و إن قلّت ، في أي مكان ، أو زمان ، للدعوة أو التعليم ، و انتهاز الفرص و لو قلّ الوقت. كما في حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ : « إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا » ، و قد دل هذا على

استغلال الوقت . فقد يلقي الإنسان كلمة عابرة لا يُلقى لها بالاً يبلغ بها مبلغاً عظيماً من رضوان الله .

ومن عاداتهم : الدقة في المواعيد ، و احترام أوقات الآخرين ، و الانتفاع بالوقت في كل حين ، و على كل حالٍ ، في الصحة و المرض ، في السفر و الحضر ، في الطائرة ، على متن السفينة ، في الحج ، في الرحلات ، و النزهة ، حتى في أوقات المزاح ، و الواجبات . و عدم تأخير حقوق الناس .

بركة الوقت

لا يوجد شخص إلا و ينشُد البركة في وقته . و لذلك يتساءل أحدنا : كيف لنا أن ندرك بركة الوقت ؟ و هل أوقاتنا كأوقات أولئك العلماء ؟

الحافظ بن حجر رحمه الله قرأ من معجم الطبراني الصغير بين الظهر و العصر ، و هو من أعجب و أسرع ما نُقل في قراءة الحديث ، و هي قراءة إجازة ، و غيره كثير من أهل العلم ، فمنهم من يختم القرآن في ليلة ، و من يصلي عشرات الركعات ، فهل أوقاتنا كأوقاتهم ؟

لا شك أن من أشراط الساعة كما في الترمذي عن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ » ، و يوجد من المعاصرين من العلماء ، و من الزهاد ، و من العبّاد من يأتي بأعمال كثيرة في أوقات قليلة .

و اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ، فقيل : معنى ذلك سرعة انقضاء الأيام و الأوقات و الساعات . و قد جاء في الحديث تفسير تقارب الزمان .

و قال البعض أن المعنى : عدم الانتفاع بالوقت ، فيذهب سُدى ، وسريعاً لا ينتفع به الإنسان ، فيكون وقته متقارباً لا يميز بين وقت الصباح و وقت الليل ؛ من سرعة انقضاء الوقت .

و قيل : أن سرعة انقضاء الوقت حسية . و قيل: أنها سرعة معنوية . و هذه الأقوال في هذا المعنى متداخلة . و قيل : بل لسهولة الاتصال ، و التواصل ، و المواصلات بين الناس ؛ صار الوقت سريعاً ، فينجز المرء أموراً كثيرة في وقت قليل ، فكأن الوقت قد تقارب . و هذا الأخير هو اختيار الشيخ حمود التويجري ، و الشيخ ابن باز ، و عدد من أهل العلم ، و ذلك بعد وجود الاكتشافات الحديثة .

و الله تعالى وهبَ هذه الأمة المرحومة أعمالاً جليلة عظيمة ، و رتّب عليها الأجور العظيمة في وقت قصير . ذلك أن أعمار هذه الأمة لا تقاس بأعمار الأمم الماضية ، كما أخبر النبي ﷺ عند الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ : « أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ ». و من هذه الأعمال : إدراك ليلة القدر ، و مضاعفة ثواب بعض العبادات .

و ليتنبّه المسلم إلى وقته ، فيضع خطة عملية للانتفاع منه ، و بخاصة طالب العلم للانتفاع بوقته ، و مواقف العلماء في استغلال الوقت مهمة لشحذ الهمة ، لكن إن لم يكن مع هذه المواقف برنامج عملي لاستغلال الوقت ، فلن تنفع الحكايات و الأخبار في هذا الشأن . و الإنسان أدرى بنفسه ، و كل شخص يعرف ما هي الواجبات ، و ما إمكانياته .

و يختلف استغلال الوقت باعتبار عمر الإنسان ، و كثرة ارتباطاته ، و فترات العمل التي يقضيها ، هل يعمل طيلة النهار كما في بعض الشركات . فكلٌ أدرى بنفسه ، و البس لكل حالة لبوسها .

المهم أن توضع خطة عملية ، خطة بالتدرج ، و أن لا يكون الإنسان حادَّ النظر ، أو التفكير ، إما أن يعمل وفق هذا المخطط بدقة كما هو أو يفشل. فالبعض ربما يكتب خطة عملية لإنجاز كتاب ما ، أو إنهاء شيء معين في مدة معينة ، فإن لم يعمل بهذه الخطة في هذا الوقت المعين ، خلال أسبوع ، ثلاثة أيام ، أو شهر ، و إلا فإنه يعتبر نفسه قد فشل ، فيترك كل الخطط و

الترتيبات . فليتدرج الإنسان بنفسه .

و التدرج من أهم الأمور في الإنجاز ، ثم منح النفس شيئاً من الفسحة ، و إلا فالخطط و البرامج كثيرة ، و يتفاوت الناس في ذلك .

إذا كان الإنسان مقبلاً على حفظ القرآن الكريم فقط ، فله برنامج . و إذا كان لديه مع حفظ القرآن حفظ بعض المتون ، فيكون له برنامج آخر . و إذا كان مع حفظ القرآن و المتون منتظم في حضور دروس علميه ، فلذلك برنامج آخر . و إذا كان مع حفظ القرآن و الدروس و حفظ المتون مشاركاً في برامج دعوية ، فإنه يختلف برنامجه . و كذلك إذا كان مع البرامج الدعوية زيادة أعمال إغاثية ، أو إذا كان أهله في حاجته . فالأمر يتفاوت من حال إلى حال .

و لذلك ، قال الإمام الشافعي : لو كلفني أهلي شراء بصلة ما حفظت مسألة . فإشغال النفس بأعمال جانبية ، و ربما تافهة ، أو يقدّم غير المهم على الأهم و المهم ، فهذا مما يجعل الإنسان حياته سبهللا .

الإسلام و الاهتمام بالوقت

من الإشارات والإضاءات العظيمة في هذه الشريعة المباركة التي تُجلّي للمسلم أهمية الوقت ، و مكانته في الإسلام : أحكام المواقيت في الصلاة ، و أحكام المواقيت الزمانية و المكانية في الحج ، بل إن جميع أركان الإسلام الأربعة ، ما عدا الشهادتين ، مرتبطة بالوقت ، كالصوم ، فإنه مربوط بوقت ، و الصلاة كذلك : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتاً ﴾ ، و الحج : ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ، ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾. و الزكاة كذلك لها ارتباط بالوقت ، و كون الزكاة حولية يجعلها مربوطة بالوقت ، فكل شخص يوقّت لزكاته بوقت حصوله على المال ، و ما هذا إلا لعظمة الوقت .

آفاتٌ تعترض الوقت

هدر الأوقات و ضياعها في أربعة : المنام ، و الدوام ، و الإدام ، و المدام . هذه المشغلات من مضيعات الوقت .

فانشغل الناس بكثرة النوم ، و قد بين ابن القيم أن من أسباب قسوة القلب : كثرة النوم . كما بين أن النوم المعتدل : ثلث اليوم . وهذا الطبيعي ، و لا يزيد عليه ، لكن من الناس من ينام أقل من ذلك ، كحال العلماء الثلاثة : الألباني ، و ابن باز ، و ابن عثيمين . أما الألباني و ابن باز ، فلا يتجاوز نومهم الأربع ساعات . و ابن عثيمين في رمضان ، و العشر الأواخر منه لا يجاوز الأربع ساعات .

أما الدوام ، فيأخذ ذروة الوقت و سنامه ، وأهم الوقت . وكثير من وقت الدوام مجرد ضياع وقت ، بالذات لمن يقابل الناس ، من الموظفين ، أو من المعلمين الذين يقابلون الطلاب . ولو أراد الإنسان أن ينتفع بوقته ما استطاع . و من جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي. و من كان معلماً يلاحظ هذا الأمر . فلو أردت أن تفرغ ذهنك لإنجاز شيء ، أو قراءة ، أو اطّلاع ، أو راحة ذهنية ، ما تستطيع . و تشعر كأنك في صالة مطار دائماً ، كأنك على وفز تنتظر رحلة ، أو كأنك عند الجمرات . هكذا حال المعلم مع الطلاب . و انشغال الذهن من أسباب ضياع الأوقات .

فمن الإحسان على الأمة عموماً ، وعلى الدعوة و الدعاة ، و العلم و العلماء ، أن تنتبه الأمة إلى تفريغ علماء و معلمين في كل بلدة ، يكون فيها ثلاثة أو أربعة يفرغون للعلم و الدعوة ، و تعليم الناس. و ليكن المال الذي يتقاضاه راتباً على وظيفته متفرغاً للعلم و التعليم ، كما هي أوقاف عظيمة و قديمة كانت في زمن مضى ، فكان الناس يتفننون أيام الدول و الدويلات الإسلامية الماضية على ضعفها ، كانوا يتفننون في الأوقاف ، فمن الأوقاف التي مرت في التاريخ : أوقاف على حمام الحرم ، على شراء الشعير ؛ لينثر لحمام الحرم . هذه من الأوقاف

التي كانت في التاريخ ، و الذي يشتري و ينثر للحمام كان من هذا الوقف . و من الأوقاف أيضاً : أوقاف لمطلقات الحرم المكي، للمطلقات . والآن نحتاج إلى أعمال علمية أو دعوية أو إغاثية ، فلا نجد إلا وقفاً أقل من القليل .

و الثالث من المشغلات : الإدام ، وهو الانشغال بالأكل .

و الرابع : المدام ، و الإنسان إذا انشغل بأهله بإسراف يكون قد أضاع وقته . و لا أدعو إلى أن الإنسان يكون متسلطاً على أهله ، و لا يقوم بواجباته ، لا . فهناك واجبات شرعية متعينة ، لكنني أقصد إضاعة الوقت فيما لا ينفع ، كم هو مؤلم أن ترى المسلم مضياعاً لوقته سبهللاً ، مهدراً له ، لا يقدر قيمة ذلك الوقت . يقتل وقته بالتافه من المشاغل ، و قد ترى الكافر حريصاً على كل دقيقة في حياته . كما قيل :

إنا لنفرح بالأيام نقطعها***وكل يوم مضى يدني من الأجل

قال الحسن البصري رحمه الله : يا بن آدم ، إنما أنت أيام مجموعة ، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك .

فاحذر من ضياع الأوقات . و احذر من سوف و لعل . قال الناظم :

و لا ترج فعل الخير يوماً إلى غدٍ***لعل غداً يأتي و أنت فقيدُ

و قال الآخر :

ولا أدخر شغل اليوم عن كسل إلى غد إن يوم العاجزين غدُ

و بعض العاجزين يؤجل ، فيومه هو الغد ، و ذلك من ضياع الأوقات بكثرة الزيارات و اللقاءات و المجالس التي لا ينتفع بها مع الإطالة ، و كثرة الخلطة و صحبة البطالين . كما قال أحدهم :

ان البطالة والكسل***احلى مذاق من عسل

ان لم تصدقني فسل***من كان مثلي في كسل

السينات الثلاث السهر و السمر و السفر ، هذه من مضيعات الوقت .

أما ما يتعلق بالسهر ، فقد ابتلينا به ، و النبي ﷺ كره الحديث بعد العشاء ، إلا في مصالح المسلمين . و استُثني طلب العلم ، و مصالح المسلمين ، و انشغال الإنسان بضيفه ، أو بأهله. و أغلب ارتباطاتنا هذا الزمان تكون بعد العشاء ، هذا في الأغلب . و السهر و السمر أصبح من سماتنا هذا الزمن ، و حتى الانشغال بشيء مباح أو قد يزيد إلى شيء غير مباح ، ثم السفر ، إلا إذا كان هذا السفر في العلم ، أو العبادة فأكرم به من شغل . فمن كان مشغولاً بأمر دنيوي مباح ، أو بأمر ديني ، فهو في نعمة عظيمة ، و صدق الشاعر أبو العتاهية إذ يقول :

أن الشباب والفراغ والجدة***مفسدة للمرء أي مفسدة

و من أكثر ما يسرق الوقت في عصرنا هذا : أجهزة التواصل ، بل هي أجهزة التقاطع ؛ لأن فيها تقاطع مصالح . يصل الإنسان البعيد ، و يترك القريب. يغفل عن أمه و أبيه و إخوانه و أبناؤه و أقاربه . كما يقول الشاعر :

جسمي معي غير أن الروح عندكم***فالجسم في غربة والروح في وطن

و لهذه الأجهزة ، و وسائل التواصل آثار بلا شك أنها سلبية.

و من آفات الوقت : هجوم بعض الناس المغرمين بهذه المفاجئات ، و هو مضياع لوقته ، لا يهتم بوقته ، و لا يقدر الوقت . و يظن أن الناس مثله عابثين بالوقت ، حتى لو جاء الإنسان بغير وقت زيارة ، فمن المروءة أن يقدم اعتذاراً و هذا من الأدب ، حتى لو كنت أكثر شهرة

من الشيخ أو من الداعية أو من إمام المسجد أو عندك موضوع مهم عظيم للإسلام و المسلمين ، فإن المقابل أيضاً وقته ثمين .

كذلك من آفات الوقت : إخلاف الوعد من غير اعتذار سابق ، و هذا شيء مؤلم .

من أكثر الناس ضياعاً للوقت : المعلم ، و لا أدرى هناك شخص آخر يؤخذ من وقته غير المعلم ، لا أدري . و هنا أتحدث عن الوظائف العامة ، أما بالنسبة للمهن فأسأل الله أن يعين أصحابها .

الوقت في تراجم العلماء

استغلال الطفولة في التربية و التعليم

تجد و أنت تقلب صفحات التاريخ و كتب التراجم لعلماء الأمة من السابقين ، و ممن نبغ من المعاصرين ، أن فلاناً حفظ القرآن صغيراً ، و رحل و هو دون العشرين ، جلس للإفتاء و هو في السابعة عشر ة من عمره ، مثل الإمام مالك ، الذي شهد له سبعون من شيوخه أنه أهل للفتيا . و ابن تيميه كذلك و هو ذاهب للكتاب في صغره اعترضه ذميٌّ بشبهة ، فرد عليه ابن تيميه ، فأسلم ذلك الذمي . هذا ، و ابن تيمية دون العاشرة .

و تقلب الصفحات ، فتجد أن فلاناً قد قرأ العلم على المشايخ ، و برز و هو دون العشرين . و ما هذا الأمر إلا لتربية قوية ، جادة جيدة ، استغل فيها وقته ، أو كان وليه أو المشرف عليه أو

شيخه يراعيه و يتابعه ، ينتبه له و يحافظ عليه ، و يقضي معه الأوقات الطويلة ؛ ليتخرج عالم ، أو داعية من دعاة الإسلام .

ارتباط الراحة و السعادة بالإنجاز

المنتفع بوقته ، و الذي يقسم أعماله على الوقت ، يشعر بسعادة و ارتياح بعد الانجاز.

فمن ذكريات الشيخ علي الطنطاوي ، و قد صار معلماً ، وقاضياً ، و له برامج في الإذاعة ، و يفتي ، و يقود مظاهرات ضد الفرنسيين أيام الشباب ، وحتى و هو قد طال به العمر – رحمه الله – ، فيقول : كنت أشكو من العمل و كثرة الشغل ، فلما تفرغت شكوت أشد من الفراغ .

بذل الوقت في النفع المتعدي

بذل الوقت في النفع المتعدي للآخرين ليس مضيعة للوقت كما يظنه البعض . فقد يتبادر لأذهان بعض من يهتم بوقته ، أو يقرأ في الوقت ، أن الانتفاع بالوقت أن يكون حبيس الدار ، يذهب للصلاة ، و يرجع ليقرأ ، و ينجز لنفسه فقط . حبيس داره من غير نفع متعدٍّ للآخرين بأعمال دعوية و تعليمية ، أو إغاثية ، أو تربوية ، و ليس هذا هو استغلال الوقت ، بل ليس مضيعة للوقت ؛ لأن أجور النفع المتعدي تمتد بعدك ، أو تمتد إلى ما بعد وفاتك . و إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، كما جاء في صحيح مسلم .

الوقت يمضي على المرتب و المذبذب

الوقت ذاهب لا محالة . فالفوضوي سيذهب وقته ، و المرتب و المؤَصّل سيحصّل النفع ؛ لاستغلاله وقته فيما يعود عليه بالفائدة .

من أقوال السلف في أهمية الوقت

قال الحسن البصري رحمه الله: أدركت أقواماً كان أحدهم أشح على عمره منه على ديناره و درهمه .

وقال أبو بكر بن عياش : لو ضاع درهم أحدهم لقال : إنا لله ، ضاع درهمي ، و هو طول يومه لم يعمل بالطاعات.

بمعنى أن من لم يعمل بالطاعة طول يومه أشد ضياعاً من ضياع الدرهم أو الدينار .

و يقول ابن القيم رحمه الله : إضاعة الوقت أشد من الموت ؛ لأن الموت يقطعك عن الدنيا ، و إضاعة الوقت تقطعك عن الله .

أمور تعين على حفظ الوقت

مما يعين على إدراك أهمية الوقت ، و الحرص على استغلاله ، و الاستفادة منه : معرفة شرف الزمان ، و أن الحياة أغلى و أعلى من الذهب و السيف .

كذلك مجالسة من يحافظ على وقته ، و قراءة أخبارهم ، و قصصهم . و الوقت كالسيف أو كما في الأمثال : كسحابة صيف ، عن قليل تقشّعُ .

أسباب الحرص على الوقت

أولاً : أن يعرف الإنسان قد زمانه .

ثانياً : أن يتذكر المرء سرعة انقضاء الأيام و الأعوام .

ثالثاً : أن يتذكر أنه مسئول يوم القيامة عن الوقت .

أخي المسلم ، لن تجد منجزاً ، عالماً ، داعيةً مؤثراً ، أو خطيباً مؤثراً ، أو شخصاً نفعه متعدٍّ للمسلمين و لغير المسلمين ، إلا و هو حريص ، بل شحيح على وقته . و العمر يسير ، و أنت تسير ، كما قال ابن الجوزي –رحمه الله– في المدهش :

يا ابن آدم ، لا تغررك عافيـة***عليك شاملة فالعمر معدود

ما أنت إلا كزرع عند خضرته***بكل شيء من الأوقات مقصود

فإن سلمت من الآفات اجمعها***فأنت عند كمال الأمر محصود

و حفظ الوقت يكون بالعبادة و النوافل بأنواعها ، بالعلم الواجب الكفائي و العيني ، بالأذكار ، و بنفع الخلق ، بإغاثتهم و إعانتهم ، بترتيب الوقت ، بتنظيمه ، بأن يجعل وقتاً للطلب ، و وقتاً للنزهة ، و وقتاً للزيارات العلمية و الدعوية ، والصلة و المباحات ، و يضع

جدولاً للزيارات و المشاريع و الأفكار التي أنجزها . ومن رحمة الله بنا ربط حياتنا بالصلوات، فمواعيد أهل الخير و الطاعة و عموم المسلمين ترتبط بالصلاة ، و هي علامة خير و صلاح . فإذا ضرب لك موعداً قال : آتيك بعد صلاة العشاء ، بعد المغرب . بخلاف من لا يقدر الصلاة قدرها ، و لا يعرف وقتها . فيربط مواعيده بالساعات ، و أحياناً لضبط الناس المهملين و الفوضويين تضطر أن تربطه بالساعة . و بعضهم لعدم احترامه للأوقات يقول : موعدنا الساعة الخامسة ، و إن لم تأته بعد ذلك التوقيت بربع ساعة ، فإنك تنتظر إلى نصف ساعة ، بل إلى ساعة . فتنتظره لعدم احترامه للتوقيت . و هذا شيءٌ واقعي ، لا أُغرب إن قلت أنه ظاهرة لعدد من الناس .

و بعض الناس يهجم عليك هجوماً في أوقات غير مناسبة ، ليس وقت زيارة ، بل يحفظ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ﴾ ، و مع ذلك يتضايق إذا اعتذرت بشغلك .

و البعض يأتي في أي وقت لأي شخص ، و ليس عنده أي موضوع ، ليطرح أي مشكلة في أي شأن ، بلا هدف ، بل هدفه تمضية الوقت فقط. يخرج من بيته ، و يشغل الشيخ الفلاني ، يصلي معه ، ثم يسلم عليه ، يريد أي شيء يتحدث معه فيه ، عن الأحداث ، عن الداخل ، عن الخارج ، عن العلم ، عن الدعوة ، المهم أن يقضي وقته ، بل ربما يتصور معه ، ثم يذهب . هؤلاء هم من قطاع الطريق . و قد كان يتألم كثيراً ابن الجوزي لأمثال هؤلاء ، فيقول: (فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهابه بفعل الخير، كرهت ذلك، وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم، وقعت وحشة، لموضع قطع المألوف! وإن تقبلته منهم، ضاع الزمان! فصرت أدافع اللقاء جهدي: فإذا غلبت ، قصرت في الكلام ، لأتعجل الفراق.

ثم أعددت أعمالًا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغًا، فجعلت من المستعد للقائهم: قطع الكاغد١، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي. نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه) .

اختلاف الهمم

ساقطُ الهمة همته دنية . و هذه همة بعضهم ، همة ساقطة . كما ما قال أبو نواس :

إنما العيش سماع و مدام و ندام   فإذا فاتك هذا فعلى العيش السلام

أما البعض فهمته تحوم حول العرش ، و بعضهم يدور حول الحُش. فمنهم يفكر فيما يصلح قلبه ،كما كان حال الصحابة ﷺ ، وعدد منا يفكر فيما يصلح بطنه و مطعمه و مشربه . و صدق الله العظيم : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

قال ربيعة بن ثابت :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى***يزيد سليم و الأغر بن حاتـــم

فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله***وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

أتلف ماله بالكرم و الخير و المروءات .

و من الناس من همته في الثريا ، بينما تجد من همته تكون في الثرى ، كما قال الشاعر أبو تمام:

بَصُرت بالراحة الكبرى فلم ترها***تُنال إلَّا على جسر من التعبِ

و صاحب الهمة لسان حاله يقول كما قال أبو فراس الحمداني :

إذا لم أجد من بلدة ما أريده***فعندي لأخرى عزمة و ركاب

أهمية التراجم

التراجم لها أهميةٌ واضحة و ظاهرة بين أهل العلم ، فهي قصص نافعة و صادقة ، في حين أن الناس قد ملّوا الروايات و القصص التي لم تقع ، و ربما وقع شيءٌ منها ، لكنه كرر ، ومُلَّ من كثرة التكرار ، لكن في قصص أهل العلم و أخبارهم أشياء واقعية و معاصرة . فمما يدعونا إلى الاهتمام بتراجم الأعلام المعاصرين ما يلي :

أولاً :

علماء ومصلحون قاموا بالتعليم وبنوا الخير ثم ماتوا ولم يعلم بهم أحد، ولا يضرهم ذلك؛ لأن الله تعالى يعلم بهم، لا يضرهم أن لا يعرفهم عمر، لكن الله يعرفهم.

و لأجل رفع الهمة ، وتربية النفس على المعالي ، وإزالة العجب من القلب نذكر أخبارهم ، إذا حصّل الإنسان علماً أو زاد عن غيره فهماً، فعليه أن يقرأ سير هؤلاء الأعلام و أن يسمع بعض أخبارهم، وذكر هذه الأخبار عن العلماء كالدَّين الواجب الوفاء على الشرفاء، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل. لأن بعض الناس إذا شاهد الأحداث من حوله، وموت العلماء وقلة أهل العلم وكثرة الفتن والفساد والمنكرات، بعض الناس قد يحبط يظن أنه لا خير إلا في الزمن الأول، الزمن الأول فيه خير، والثاني والثالث القرون المفضلة التي فضلها النبي ﷺ ، لكن من بعدهم لهم فضل. و هذه السلسلة رفعاً للإحباط الواقع بين المسلمين ، ودفعًا للتشاؤم ، ولنشر التفاؤل و إظهار نماذج رائعة .

ففي كل واد بنو سعد***و لله أوس قادمون و خزرج

و لا يخفى نفع هذه السير والأخبار على الجامع والسامع و القارئ ؛ لأن القارئ يضيف أعمارًا إلى عمره، ويضيف تجارب، وأخبار ونوادر وطرائف، ففيها متعة وقدوة.

ثانياً :

بعض هؤلاء الأعلام يكتب التراجم والسير والأخبار ويكد نفسه وخاطره في الكتابة والتحقيق والتدقيق، فإذا مات لم يُكتب عنه، مثل: الشيخ عبد الله البسام -رحمه الله- الذي كتب (تاريخ علماء نجد) ، وكل من أتى إلى نجد، أو أقام بها، أو نفع بها في مجلدات، و لما مات لم يُعرف عن وفاته، ولم يكتب عنه إلا القليل.

وكذلك الشيخ صالح بن عبد العزيز العثيمين، وهو من كبار المؤرخين من سكان مكة ، حقق طبقات الحنابلة ، وألف تراجم لمذهب الإمام أحمد للعلماء، وهو كتاب (تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة) في خمس مجلدات إلى زمنه وقد توفى عام ألف وأربعمائة وسبعة عشر تقريبًا، ولا يعرف عنه إلا القليل، ربما لا يعرفه كثيرًا من الناس، صالح بن عبد العزيز العثيمين هو ليس من أقارب الشيخ إنما من سكان مكة.

و نأسف أن نرى الكثيرين من أهل العلم يموتون و لا يعرف عنهم ، و لا عن أخبارهم إلا القليل ، و كما قيل عن بعضهم ، و لم يحصل لهؤلاء الأعلام :

قد كنت تدأب في التاريخ مجتهداً**حتى رايتك في التاريخ مكتوباً

فبعض العلماء كتبوا التاريخ ، لكن لما مات لم يكتب تاريخه ، مثل : الشيخ عبد الله البسام رحمه الله ، خمسون سنة وهو يدرس في المسجد الحرام و من كبار القضاة و كبار العلماء ، وعضو هيئة

كبار العلماء و يتميز بأمور عدة منها : ترجمته لعلماء نجد و من عاش فيها ، و من خرج منها ، و من مر بها ، حتى الشيخ محمد أمين الشنقيطي – أحد علماء الزبير – كان قد قدم من بلاده ، فخرج من العراق ومر بنجد ، وتتلمذ عليه الشيخ عبد الرحمن السعدي وغيره من العلماء ، فترجم له . و قد ترجم لتسعمائة عالم ، و لكنه لما مات لم يذكر عنه فيما أعلم ترجمة حتى الآن.

و هذان النموذجان المعاصران لشخصين لم يكتب عنهما الكثير ، كتبوا الكثير و لم يكتب عنهم شيء ، أو ربما كتب عنهم القليل. و نأسف أيضاً أننا إذا مات فينا عالم نسي ، كما قيل :

كأن لم يكن بين المروة والصفا***أنيس و لم يسمر بمكة سامرُ

ثالثاً :

جمع هذه السير و الأخبار ، وقراءتها و تذاكرها ، سبب لزيادة الإيمان وحب الخير والصلاح والإصلاح .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم***إن التشبه بالكرام فلاح

وهذا يدعونا أن نحب هؤلاء العلماء في الله ، وأن نتقرب إلى الله بحبهم ، فالحب في الله و البغض في الله أوثق عُرى الإيمان.

رابعاً :

من مقاصد هذه التراجم : أن نتلقى عن العلماء الأحياء ، وأن نتسابق لدروسهم ومجالسهم ، ونسألهم عن أخبارهم وأخبار العلماء الذين لقوهم ، فهذه التربية المباشرة المؤثرة في طالب

العلم. فأدركوا من بقي قبل الندم ، و قد بقيت ثلة من أهل العلم من الكبار ، و من الحُفّاظ ، و ممن يضبط التاريخ و الأحوال ، فهؤلاء العلماء

مجالسهم مثل الرياض أنيقة***لقد طاب منها الريح و اللون والطعم

خامساً :

نحن في زمن انتشرت فيه الشبهات والشكوك وتكلم الرويبضة ، وتكلم الجاهل الذي لا يعرف ، بل لا يملك إلا شهادة الميلاد ، و ربما تكون ممزقة أيضًا ، و يتكلم في كل شيء ، وإذا ذكر العلماء قال: رجال ونحن رجال ، ويبدأ ينازعهم ويناطحهم ، و يدخل نفسه فيما لا يعنيه ولا يغنيه ولا يحسنه ، و الناس أعداء ما جهلوا ، فكيف نعرف ، أو كيف يعرف الجاهل قدر العالم وهو لا يعرف العلم أصلًا ولا يقدر العلم ولا العلماء؟

لا يُميز بين الحديث والفقه ، ولا التفسير و لا الفرائض ، و لا يعرف الشعر النبطي من الآية ، و لا يفرق بينها ، كيف يعرف قدر العلماء إذا كان لا يعرف العلم؟

لذا ، يكون عنده العالم والجاهل سواء فلا يُطالب أحيانًا من بعض الناس ولا يطلب من الناس ما لا يطيقون ولا يكلفون إلا ما يعرفون ، لكن المأخذ على طالب العلم ، و على من يفرق بين العالم وغيره ، كيف يموت العلماء و لا يؤخذ عنهم و لا يُعرف عنهم شيء ؟

سادساً :

حتى نرى التكامل في حياة هؤلاء العلماء بين تحصيل للعلم و بذله و نفع الناس و الحرص على العبادة ، هؤلاء العلماء والحفاظ لو كانوا بين أهل البدع أو من أهل البدع على شدة حفظهم وتقدمهم في العلم ، أقصد هؤلاء العلماء الذين سأذكر و ما ذكرت سابقاً لو كانوا من أهل البدع لغسلوا عن أقدامهم وعظموهم وجعلوا فلان آية الله ، و فلان العارف بالله ، و هكذا من العبارات أو الألقاب ، كما قيل:

ألقاب مملوكة في غير موضعها***كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

فلو كان هؤلاء العلماء عند بعض أهل البدع لعظموهم.

و نحن يمر العالم، وربما يعيش ويموت و لا يعرف عنه إلا من طريق الأوراق الرسمية: أن فلان كان له ارتباط مثلاً بدرس علمي ، أو محاضر في جامعة ، أو نحو ذلك ، و نحن لا نعرف العالم إلا إذا مات.

سابعاً :

من أهمية هذه التراجم ايضاح جهود العلماء ، و إبراز القدوات المعاصرة.

كما عزم الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني-رحمه الله- أن يترجم للشيخ الألباني أرسل له الشيخ ابن باز رسالة – رحمهم الله – يؤيده ، و هذا الكلام في حياة الألباني . فأرسل له الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – رسالة قال فيها :

(أحسنتم فيما عزمتم عليه من كتابة ترجمة توضحون فيها جهود وأعمال العلامة الجليل الشيخ الألباني) ا.هـ

و نحن بحاجة لقدوات معاصرة ، فلو تحدثنا عن الصحابة والتابعين ، لصعب اللحاق بهم ، لكني أنقّب عن أُناس بعضهم مات قبل شهر.

لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم***ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

فهؤلاء علماء وعباد عاشوا بيننا ، و في بلادنا ، و ربما أدركنا بعضهم ؛ لتقتدي الأجيال بأمثال هؤلاء الرجال.

و لئن مات أصحاب النبي ﷺ ، و ذهب التابعون ، و ذهب العباد ، فيوجد في زمننا من لا يقصر ربما علمهم على المتقدمين ، لكن للأولين فضل الصحبة ، و لهم فضل القرون المفضلة ، لكن يوجد في زمننا من يقاربهم في العلم ، و من يقاربهم في العبادة ، على أن الصحابة لا يدانيهم أحد ، بمعنى: لا يصير قريبًا منهم ، لا العبارة العامية المعروفة. و سماع أخبار هؤلاء يُحرك مشاعر القلب لحب الخير ، والعلم و الفضل و العبادة .

لما سُئل المذيع الناجح الدكتور الدكتور فهد السنيدي – وفقه الله – : ماذا استفدت من الإعلام؟ قال : معرفة الأعلام .

فمعرفة هؤلاء الأعلام والقراءة عنهم و تتبع سيرهم ، و إن كنت مقلا في ذلك من ناحية القراءة حولهم ، إلا ما كان تهيئة لمحاضرة أو ذكرًا لخبر بعد وفاة عالم ، فهي أمور متفرقة. و نحزن على قلة الوفاء للعلماء ، إذا مات عالم يكتب عنه أربعة أسطر ، وقد قرأت خبراً عن وفاة

الألباني – رحمه الله– في إحدى الصحف: (مات الشيخ الألباني ، له مؤلفات إسلامية). فقط أربعة أسطر أو خمسة ، و هذا الوفاء لعلمائنا ، و الرجل الصالح ، و العالم ، و الباذل يدعو الناس بفعله قبل قوله.

و قد يقول قائل : أن الصحابة لم يبدأ التاريخ في زمنهم حتى يقال فيمن بعدهم : لو قارنت بعض مؤلفات العلماء المعاصرين ، أو الدعاة ، أو الشباب ، الذي له عشر سنوات في الهداية ، ثم طلب العلم شهرين ، ثم يبدأ بالرسائل ، يخرج رسالة تلو الأخرى ، فليس العلم بكثرة المؤلفات ، و لا التأليف ، و لا بالشهرة . فقد يوجد عالم و لا يُعرف ، و بعض أفراد هيئة كبار العلماء في بلدنا الآن ، و قبل عشر سنوات ، و عشرين سنة ، و ثلاثين سنة ، من لو ذُكر اسمه أو صلّى معنا ، و أُعلِنت له محاضرة ، و لم يُذكر في تعريفه أنه عضو هيئة كبار العلماء لم يُعرف . فلا يُقاس علم الشخص بالشهرة ، و كونك أنت لا تعرف فلاناً لا يعني أنه ليس بعالم ، فارفق بنفسك . و من الناس من يقول : متى طلع هذا الشيخ ، ما أعرفه ؟ . و هل أنت تعرف العلماء جميعاً ؟ أو جالست جميع العلماء بلا استثناء ؟ و هل سافرت ؟

قال الإمام أحمد : طفت الدنيا ثلاث مرات . الإمام أحمد ذهب لخراسان ، و الشام ، و اليمن ، و لم يذهب لمصر ، و الحجاز . و العراق هي بلده ، فيقول : طفت الدنيا ثلاث مرات . و كانت هذه هي الدنيا في زمنهم . و ابن حبان ، صاحب الصحيح : تتلمذ على ألفي شيخ فقط. و هذا الذي لو قيل له : ما رأيك بفلان ؟ ، و قال : لا أعرفه . فهذا الذي يُسأل .

هذا الذي إذا قال عن شخص : لا أعرفه ، يُشَك في المتكلم فيه ، بالذات إذا كان عدد من العلماء يجهلونه . و لذلك ، قال الإمام مالك و قد جلس للتدريس بعدما بلغ السابع عشرة

رحمه الله ، قال : لم أجلس للتدريس ، حتى شهد لي سبعون من شيوخي أني أهلٌ لـذلك . قيـل له : لو منعوك ، تمتنع ؟ قال : نعم ، امتنع . هذا الإمام مالك الذي قال فيه ابن الخيّاط :

يَدَعُ الْجَوَابَ فَلا يُرَاجِعُ هَيْبَةً***وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الأَذْقَانِ

نُورُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى*** فَهُوَ الْمُهِيبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

ثامناً :

ذكر الفوائد العقدية من أنفع ما نستفيد من تراجم المعاصرين ، مما يقوله الشـيخ ،أو ممـا يُنقـل عنه ، و بعض اللطائف و الفتاوى ، و بعض العبارات المشهورة ، والمواقف . فهذا الذي يُنتفع به منها . و كذلك المواقف التربوية ، و كيف كان يعامل والديـه ، كيـف كـان يعامـل أبنائـه و تلاميذه و جيرانه . و يُتلمس بعض الفوائد و اللطائف من سيرة كل عالم .

وكذلك مواعظ بعض أهل العلم، فالبعض يعتقد أن العالمَ عالمٌ فقط بمسائل الحلال والحرام ، وأنعم به من علم ، لكن يكون العالم واعظ أيضاً ، و كان ابن الجوزي بالوعظ مشهوراً ، و ابن رجب الحنبلي أيضاً مشهورٌ بالعلم و الوعظ . فليست هذه قصـصٌ جافـة ، إنـما هـي قصـصٌ نافعةٌ .

تاسعاً :

تحدثت عن التجار الصالحين . فلماذا نتكلم عن أخبار التجار الصالحين ؟ و عن بعض التجار المعاصرين ؟

سبب ذلك أن المال عصب الحياة وقوامها ، و قد جاء الاسلام بحفظ الضروريات الست ، و منها : المال ، كيف يكتسبه الإنسان ؟ و كيف ينفقه ؟ ، بل صارت ثلث أسئلة يوم القيامة ، ثلث الأسئلة : عن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه؟

و قد يلج الإنسان النار بالمال ، وقد يدخل الجنة بالمال ، فهو إما له ، و إما عليه. و كما نحن بحاجة لذكر بعض أخبار الصالحين ، من التجار المعاصرين ؛ لنشر فضائلهم و الاقتداء بهم ، و إبعاد الإحباط ، و رفع منسوب التفاؤل بذكر بعض الشخصيات المتميزة من التجار.

عملوا بقول الله عز وجل : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر:٩] ، حتى يكونوا قدوات لنا.

و من الأسباب أن أبواباً من الفجور ، و الفساد دخلت على الأمة الإسلامية من طريق أصحاب الأموال ، أو من بعضهم ، في نشر الربا و القنوات الفاسدة ، و نشر المواقع السيئة ، و الملابس السيئة للنساء ، فلو صلح هؤلاء ، و عرفوا حق الله عليهم ، و ما أوجب الله عليهم ، وعرفوا ما حرم الله ، و حذرناهم من إفساد نساء و شباب المسلمين ، لانكفَّ شر كبير.

صعوبات في جمع المادة ، و قلّة التراجم

من أراد أن يكتب أو يجمع في تراجم المعاصرين ، فسيعترضه الكثير من الصعوبات ، و لن يجد احتفاءاً بهذا الموضوع من قبل عدد من الناس ، ما أدري ما السبب ؟

و عند التفتيش عن الأسباب ، نجد أن من أبرز ما يُطالعنا ما ذكره ابن عقيل الحنبلي في زمنه عن قلة التأليف عند الحنابلة ، فهم من أقل الناس مؤلفات . عندهم كثرة تعبد واحتساب و بُعد عن القضاء ، و قلة التأليف وكثرة التدليل ، هذا بالجملة أعمال الحنابلة ، و تأثروا بهذا إلى زمن قريب ، فالمؤلفات قليلة ، فمن أراد أن يكتب أو يجمع فسيجد صعوبات وعقبات.

و بعض البلاد مليئة بأهل العلم ، بينما تجد التراجم عنهم قليلة ، و إن كانوا في بلدٍ واحد ، فلا تجد من يكتب عن هذا البلد ، و علمائها ، و وجهائها ، و من دخلها من الأعلام . و هذا مما تميزت به بلاد كثيرة في التاريخ الإسلامي ، أثبتت علمائها ، و ولاتها ، و وجهائها ، و من مرّ بها ، كما في تاريخ نيسابور ، و تاريخ جرجان ، و تاريخ دمشق ، و أخبار مكة ، و غيرها .

و من أسباب قلة التراجم أيضاً : عدم تقييد العالم لذكرياته ، و إذا كان العالم لا يكتب الذكريات التي تمر به و المواقف مع التلاميذ ، و العلماء ، و الأقران ، و ما حصل له في الدروس و الخطب ، فإنها تُنسى . إلا أن تكون له ذاكرة كذاكرة الشيخ محمد بن ناصر العبودي – وفقه الله – ، و قد بلغ الآن قريباً من التسعين . و كذلك الشيخ عبد الله بن جبرين –رحمه الله– توفي و ذاكرته في حفظ المتون ، و القصص ، والأخبار ، و الذكريات التي مرت به. كذلك الشيخ علي طنطاوي –رحمه الله– ألف الذكريات بعدما جاوز الخامسة و الستين من

عمره ، و رقمها في سبعة مجلدات فقط ، ذكريات من الذهن ، لم يرجع للكتاب ، و ليس بيده أوراق ليكتب بعض الذكريات ، و كأنها أمامه. و يقول عن نفسه أن ذاكرته تصويرية ، يصور الحدث كما هو ، و يصف لك الشيء . وتحدث عند دمشق بما لم يُسبق إليه من أحد من المؤرخين ، و لا الأدباء . فمن يكون له مثل ذاكرة الطنطاوي ، أو محمد بن ناصر ، أو ابن جبرين . فهم ندرة من الناس ، فإذا كان العالم لا يقيد ذكرياته اليومية تُنسى .

و من الأسباب : عدم رغبة العالم الكلام عن نفسه ، و تحاشيه ذكر بعض مواقفه ؛ لأنه لا يريد أن يصدّر نفسه . من ذلك ما كان من الشيخ محمد بن صالح المنصور المتوفى سنة ١٤٢٢هـ ، و الذي تتلمذت عليه ، و تخرج به العلماء ، و القضاة في القصيم ، و غيرها ، بعض أن شارك في أحد البرامج المتعلقة بالذكريات في إذاعة القرآن . فزرته بعد ما أُذيعت له حلقتان أو ثلاث ، فشكرته على اللقاء . فقال : ماذا يستفيدون الناس ؟ رحت ، و جيت ، و أكلت ، و بعدين ؟ . فقلت له : يا شيخ ، أنت لا تستفيد مما تقول عن نفسك ، لكن الناس يستفيدون ، فيعرفون من هو العالم محمد بن صالح المنصور .

و قد يكون من الأسباب أيضاً : ضعف الطلاب ، فقد يوجد بعض العلماء يملئون الدنيا سمعةً وعلماً ، و تتفاجأ أنه لا يوجد له ترجمة ، و لم يترجم له أحد ، كالليث بن سعد . يقول الشافعي : الليث بن سعد أعلم من مالك ، لكن لم يقم به أصحابه . ذلك أن الليث بن سعد كان في مصر ، و له مذهبٌ متبع . أما مالك فكان في المدينة ، و المدينة محط العلماء ، و بقايا ممن تتلمذ على التابعين و أتباع التابعين ، و هم قريبون من الصحابة ، دار الهجرة ، بخلاف مصر ، فليست بلد علم . فهذا من الأسباب .

كذلك عقوق الأبناء و الذرية ، و انشغالهم بدنياهم ، و ترك النقل عن والـدهم ، أو جـدهم ، أو قريبهم العالم ، و ربما أيضاً بعض التلاميذ يكون لهم حظوة و اختصاص بالعالم ما لا يوجـد لغيرهم من أبنائه ، فما يخرجون سيرته ، و لا كتبه ، أو شروحه ، يظنّـون بـه مـدةً . فهـذا يعـد عقوقاً . و قد عانيت قرابة العشر سنوات ، في محاولة مخاطبـة بعـض أبنـاء المشـايخ ، و بعـض المقربين منهم ، و تلاميذهم ، و لا أجد التفاعل ، إلا القليل .

و من أسباب ضعف الأبناء و الذرية و الأقارب : ضعفهم علمياً و ثقافياً ، لا يقـدرون للعلـم قدره ، و لا يقدّرون أن أباهم ، أو قريبهم من أكابر العلماء ، لكـن كـما هـو معلـوم أن : أزهـد الناس في العالم جيرانه . و من الطرائف التي تُحكى في ذلـك : أن أحـد العلـماء كانـت زوجتـه تؤذيه ، فقال لها : لو حضرتي عندي في المسجد النبوي و أنـا أشرح ، تجـدين النـاس مطـأطئي الرؤوس يستمعون للعلم مد البصر ، فاحضري حتى ترين كيف النـاس يكرمـونني ، و أنتـي تؤذينني . فحضرت ، و لما انتهى من الدرس ورجع البيت، قال: كيف الأمر يا فلانـة ؟ قالـت له : سبحان الله ، جميع الناس متأدبون بمسجد النبي ﷺ إلا أنت ، ترفع الصوت . و كان يرفع صوته للعلم قبل المكبرات ، كان يحتاج إلى رفع الصوت تعويضاً عن عدم وجود المكبر .

فأزهد الناس بالعالم جيرانه ، و مثل ما يقول العوام : (من عرفك صغيراً ، حقـركَ كبـيراً) ، و هذه من أسباب عدم شهرة بعض أهل العلم و عدم نشر علمهم . فـإذا كـان الأبنـاء و الذريـة ضعافاً ثقافياً ، و علمياً ، و لا يقدّرون العلم ، لا يقيمون للعالم وزناً .

و بعض مكتبات العلماء من مشاهير العلماء وُجد بعضها قد أُغلق عليها في دورة الميـاه في بيـتٍ مهجور ، و بعضها تُركت في السطح تحـت الشـمس و المطـر ، و بعضـها اكتشـفها علـماء ثـم

اشتروها ، و بعضها فيها مخطوطات مهمة ، و بعضها تُلقى في الزبالات ، كما وُجد من بعض أبناء العلماء المعاصرين .

و من الأسباب في قلّة تراجم العلماء و الاهتمام بهم ، و هو تنبيهٌ مهم ، أن بعض الذين يترجمون للعلماء يسيء للعالم ، فيُصور العالم كما يريد التلميذ . فيفهم الناس أن هذا العالم شديد ، شرس ، ليس له هم إلا الردود على الآخرين ، وينتج عنه بُغض الناس للدعوة و الدعاة . فيكتب عن شيخه كما شاء ، و ليس له اشتغال إلا بالتبديع ، و التفسيق ، و هذا إنما هو من صنيع التلميذ المترجم لشيخه . لا يأتي إلا بهذه القصص التي تعجبه ، و تعجب توجهه ، و قد لاحظت بعض التراجم من هذا الباب .

فإذا كان المؤلف مهتماً بالدعوة ، و مهتماً بالأمور التربوية ، و اللطف في التعامل مع الناس ، ينقل أبرع ، و أروع ما يرى من شيخه في هذا الباب ، أما إذا كان من بعض الناس سليطي اللسان ، و يحب التبديع ، و التفسيق للآخرين ، فإنه يهتم بهذا الباب الذي ربما لا يُعرف عن شيخه ، إلا في أشياء معدودة ، كأن ينصح الشيخ عن مؤلف من المؤلفين أن كتابه هذا بدعة ، فلا تقرأه . فيكون كلام الشيخ سطر ، ثم يأتي المؤلف المترجم للشيخ و يحَشّي عليه الكلام الكثير ، ثم يبدأ يفسق ، و يبدع الناس ؛ لأن هذا هو توجهه . فلنحذر من بعض التعليقات الجانبية في تراجم أهل العلم .

ثناء العلماء على بعضهم ، و مراسلاتهم

ثناء العلماء على بعضهم ، ليس من باب التزيّن ، و المديح ، فليس هذا المقصود ، هذا قد يكون بين أناسٍ منتفعين ، لكن بين العلماء عالم مدح العالم تعرف أن هذا في موضعه ، و لـه قـدره ، و في ميزانه .

من فوائد ثناء العلماء بعضهم : الارتياح ، و الثقة ، و أن يعرف الناس من أيـن يؤخـذ العلـم . فعلى سبيل المثال : لما أراد الشيخ القاضي فهد السليمان -وفقـه الله- جمـع فتـاوى الشـيخ ابـن عثيمين ، و كان الشيخ ابن عثيمين وقتها لم يشتهر شهرةً كشهرته فـيما بعـد ، فـذهب يستشـير شيخه و عالم المسلمين الشيخ ابن باز ، فأثنى الشيخ ابن باز على تلميذه ابن عثيمـين ، و قـال : حقيقٌ أن تجمع علمه و فتاواه ، فهو رجلٌ عالمٌ صالح . فهذا كان ما قال ابن باز عن العثيمين .

فثناء العلماء بعضهم على بعض يُستفاد منه ثقة الناس بالعالم ، إذا أثنى عالمٌ عـلى عـالمٍ لا نعرفـه فيُعرف بين الناس ، فإن فُقد العالم الأول نعرف أين نذهب .

و من فوائد ثناء العلماء بعضهم على بعض : ظهور التواضع بينهم . و بعـض النـاس إذا تفـرد بشيء في أمور الدنيا من أصحاب التخصصات فإنه لا يريـد أن ينافسـه أحـد ، في الطـب ، في الهندسة ، في الاستشارات الأسرية و التربوية ، و غير ذلك . و قد يوجد أيضاً في جانب بعـض الدعاة من هذا التفرّد ، يريد أن لا يذهب الناس إلى غيره أبداً ، لكن إذا أثنى العالم عـلى العـالم تعلم أنه يريد الله و الدار الآخرة ؛ لأنه لا يهتم لشيء ، و الأصل أن الناس يهتدون ، و يقربون إلى الله تعالى ، سواءً اهتدوا على يدك ، أو على يد غيرك . المهم أن الناس جميعاً يتعبدون لله .

ومن فوائد ثناء العلماء بعضهم على بعض : تربية الطلاب على ترك التعصب ، فإذا كان الطالب متعصباً لشيخٍ واحد ، ثم لاحظ هذا الطالب أن شيخه يثني على عدة علماء ، و على عدة دعاة ، فإنه يخف عنده و يقلّ منسوب التعصب ، بعدما كان لا يرى في الدنيا إلا شخصاً واحداً هو العالِمِ في نظره ، لكن إذا رأى أن شيخه أو هذا العالم الذي يثق به يُثني على علماء ، و على دعاة ، و على مؤلفات ، و يثني على مناهج علمية ، و بعض طرائق العلماء ، فيطمئن و يقل عند هذا الطالب التعصب .

وبالمناسبة فإن غالب المتعصبين للعلماء ليس العالم نفسه ، و لا العلماء من تلاميذه ، إنما المتعصبة للعلماء هم أنصاف المتعلمين ، و الجهلة الذين يتعصبون للعالم ضد علماء آخرين ، و تأمل في التاريخ ، و في واقع الناس تجد مصداق ذلك .

مراسلات العلماء

المراسلات بين العلماء لها عدة ثمرات ، من ذلك : ظهور الفوائد والعلم ، يعني ليست رسالة من محبك أو من تلميذك إلى فضيلة الشيخ العلامة كذا، أهنئك بشهر رمضان وأخبرك أني طيب.

هذا يوجد في بعض رسائل العلماء، لكن فيها مطارحات وفوائد علمية، إن أردت أن ترجع لنموذجٍ واحد، اقرأ مراسلات الشيخ عبد الله بن عقيل –رحمه الله– تجد حقيقة ما أقول، ومن ذلك رسائل الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله– لتلاميذه، الشيخ ابن عقيل لطلابه

ومشايخه وأقرانه، والمراسلات التي كانت بين الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء الشام، والشيخ محمود الألوسي من علماء العراق، هما عالمان لم يلتقيا، والذي رتب بينهما طالب علم تاجر من أهل عنيزة يسافر الشيخ الألوسي في الشام فينقل له سلام الألوسي، وينقل كتب أو رسائل وسلام الألوسي للقاسمي، من العراق إلى الشام، فكان بينهما مراسلات صدرت في مجلد، وكلٌّ منهم لم يلتقي بالآخر يودوا أن لو لقيه، ثم لما مات أحدهما قبل الآخر تفجع أحدهما على صاحبه.

مظنّة تراجم المعاصرين

كتب التاريخ ، الرحلات ، المراسلات ، اللقاءات ، و التراجم الذاتّية

كتب التاريخ :

من الكتب المهمة كتاب (من علماء الشام في القرن العشرين) لمؤلفه الشيخ محمد حامد الناصر ، و هو من المؤلفين المميزين ، و توفي قريباً ، و لم يعلم به إلا نادراً ، و له مؤلفات من ألطفها : كتاب (العصرانيون) ، تكلم عن المدرسة العصرانية الجديدة ، و له كتاب (من علماء الشام في القرن العشرين) ، ترجم فيه لكثيرٍ من علماء الشام .

كذلك كتاب يقع في مجلدين (رجال فقدناهم) لمؤلفه مجد مكي ، سبط الشيخ علي الطنطاوي، جمع جميع تراجم العلماء من مجلة (حضارة الإسلام) .

و قد تجد تراجم لبعض أهل العلم في تاريخ الشيخ إبراهيم بن عبيد (تذكرة أزلي النهى و العرفان) و هو كتابٌ بلغ تسع مجلدات ، آخر ترجمة فيه وفاة الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– و قبله الألباني ، تاريخٌ معاصر منذ زمن إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب فقط ، ثم انتقل من عام ألف وثلاثمائة إلى وفاة الشيخ العثيمين .

ثم تاريخ البسام (تحفة المشتاق في أخبار نجد و الحجاز و العراق) الذي ترجم فيه لعدد من علماء نجد ، و هذا مشهور، ترجم لقرابة ثمانمائة عالم ، و داعية ، و شيخ ، وطالب علم .

الرحلات :

أذكر نموذجاً من نماذج العلماء المعاصرين ، عالم رحالة أديب ، فقيه صاحب مؤلفات و رحلات ، هو الشيخ محمد بن ناصر العبودي –حفظه الله وبارك فيه –، فمما تميز به أنه يكتب كل شيء : المذكرات اليومية يكتبها الشيخ إذا سافر ، سافر في إحدى سفراته أربعة أشهر ، و كان معه الشيخ عمر فلاته و الشيخ أبو بكر الجزائري ، الشيخ عمر توفي رحمه الله غير الشيخ عمر الموجود الآن ، و الشيخ أبو بكر الجزائري أحسن الله لنا و له الختام ، جلسوا مع الشيخ العبودي في أفريقيا مرة أربعة أشهر ، كان يكتب كل شيء ، و في رحلة أخرى ذهب سبعة أشهر لم ينقطع عن الكتابة يوماً ، يكتب كل الذكريات ، في كتابه (في أفريقية الخضراء) .

و بعض العلماء يذكر رحلته ، رحلة علمية أو رحلة الحج ، مثل ما ألف الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– رحلته من بلده إلى مكة ، ركب الطائرة والقطار ، ومشى على قدميه وعلى الدواب ، و ركب الباخرة . هذا في رحلة واحدة للحج ، ومشهورة هي رحلة الشيخ

محمد الأمين لحج بيت الله الحرام (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) ، وذكر فيها كثيراً من اللطائف والفوائد والطرائف أيضاً العلمية . و له كتاب بعنوان (الرحلة إلى أفريقيا) .

الشيخ عبد الرحمن السميط –رحمه الله– مع أن السميط لم يكتب إلا متأخراً بعد ما كثرت أشغاله وزاد مرضه، بدأ يكتب بعض الذكريات ويلقي بعض المحاضرات ويتفرغ.

وكذلك رحلة الشيخ عبيد الله الأفغاني –رحمه الله–، و هو من العلماء المغمورين أيضاً ، و قد التقيت به و توفي من سنواتٍ قريبة ، كان من علماء أفغانستان ، و هاجر ، و تنقل في هجرته لعدة بلاد كالعراق ، واليمن ، ثم وصل إلى مكة .

ذكر الرحلات العلمية أو الدعوية ، مثل رحلة الشيخ ابن جبرين للشمال لما كان شاباً مع الشيخ أبو حبيب الشثري ، و عدد من العلماء ، فكتب تلك الرحلة ، و صدرت في مجلد ، و كان يكتب كل شيء.

المراسلات :

من طرق كتابة التراجم ما كان يفعله الشيخ محمد المجذوب –رحمه الله– ، و هو العالم الحلبي الذي سكن المدينة ، فكان يراسل المشايخ ، يرسل لهم بعض الأسئلة أشبه ما تكون بالتحقيقات الصحفية ، لكن كتابة عالم ، أو سؤال عالم . يكتب للعلماء ، ثم يجيبون . فأخرج كتاباً في سير العلماء .

اللقاءات :

بعض العلماء كما سبق لا يحب التحدث عن نفسه ، أو يترجم لها . فيكون من المناسب التقاط بعض أخباره من خلال اللقاءات و المناسبات التي يُدعى لها . فتكون الأحاديث الودّية أدعى لاستخراج بعض أخباره . من ذلك ما يكون إذا دعاهم بعض المحبين لوليمة ، فمن جلس في بيته و الحضور يبادرون بالأحاديث و السؤال عن الأحوال و الأخبار ، عن البلد ، و العلماء كم عددهم ، و كم عدد المساجد ، فيذكر ذلك . و لم يُعثر إلا على بعض الكتابات ، أو بعض الأوراق في ذلك .

و بعض العلماء يذكر مواقف عن شيوخه في مناسباتها في الدروس ، مثل ما كان يفعل كثيراً الشيخ ابن عثيمين ، إذا مر بمسألة يقول : و قد مرت بنا مع شيخنا ابن سعدي ، فقال كذا و كذا . و هذا من الوفاء بشيوخه .

و كذلك فعل الشيخ حماد الأنصاري ، فهو يذكر الشيء عند مناسبته إذا مر به أي موقف ، يقول: وقد حصل لأحد العلماء كذا وكذا ممن لقيهم ، وترجم لعدد من العلماء كثير بهذه الطريقة .

و بعض أهل العلم ممن تتلمذت عليهم مدةً ليست بالقليلة ، و الحمد لله . فإذا كنا معه إما في لقاء ، أو رحلة يقول : اسألوا عن ما شئتم في العلم ، لكن الأشياء الذاتية أرجو أن لا أحد يسأل . عن طريقته في العلم في التحضير ، لا يُسأل أبداً . و مع الوقت تتضح بعض الأمور ، فيمكن أن تتحايل عليه ، و تحايلت عليه ، و الحمد لله . فكنت أسأله عن بعض شيوخه و أقرانه في تدريسه في المعهد العلمي ، ثم تدريسه في الجامعة ، ثم بعد التقاعد . و اسأله مثلاً عن

علو الهمة عند بعض العلماء ممن لقيهم ، فيذكر بعض الأمور ، و له فيها ارتباط ، فكنت آخذ الترجمة بهذه الطريقة .

من ترجم لنفسه من العلماء ، أو ترجم له ابنه :

من المعاصرين : الشيخ عبد الله بن عقيل –رحمه الله- ، وهو رئيس مجلس القضاء الأعلى وهو ممن يدير مكتب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمهم الله ، كتب ترجمةً لنفسه مطولة (فتح الجليل في ترجمة و ثبت شيخ الحنابلة ابن عقيل) خرّجه الشيخ محمد زياد التكلة ، و فيها لطائف كثيرة ، و فوائد لو أفردت أو لخصت في كتاب لانتفع بها الناس .

و كنا ذات مرة في مجلسه ، و لما انتهينا من الجلسة قال الذي استضافنا : أن الشيخ سأل عن الحضور واحداً واحداً ، والشيخ كان قد قارب التسعين .

و يقول مضيفنا : الشيخ طريقته أن أي مجلس يجلسه إذا انتهى يذهب لبيته و يكتب : جلست اليوم الفلاني عند فلان ، و يكتب الأشخاص ، جلس معي فلان و فلان . هذه من طرق هؤلاء العلماء و الحفاظ ، و هذه النماذج مفيدة حتى يزول العجب و الكبر من القلب.

كذلك بعضهم قد يترجم لنفسه في طريقة سير الدروس فقط، لا يقول : فعلت ، وحفظت ، و قرأت ، ما يكتب هذا ، بل يكتب بعض الترجمة المتعلقة ببعض المواقف المتعلقة بطريقة تدريسه ، أو بمدارسه ، مثل ما فعل الشيخ عبد الله القرعاوي –رحمه الله- .

ومنهم من ترجم لأبيه وهذا من البر ، مثل ما فعل الشيخ عبد الرحمن -وفقه الله- ابـن الشـيخ عبد الله بن جبرين -رحمه الله-، ترجم لأبيه ترجمة أسـماها (أعجوبـة العصرـ) ، وهـو كتـابٌ رائع ، مرتب .

الشيخ العبودي له ذكريات و هو طفل أسـماها (مـذكرات طفـل) أوصى بهـا أن تخـرج بعـد وفاته ؛ لأنه يرى أنها لا تليق ، بمعنى أنه كان صغيراً .

المنهجية في جمع التراجم

ميزة هذه المواقف و القصص أنه ليس بينها ترابط ؛ رغبة في التنوّع ، و طرداً للسئامة . و غالبـاً ما أذكر الموقف و لا أذكر التعليق عليه و لا العبرة منه ؛ ليبقى طرياً شهياً كـما هـو ، ولا أغـيره بتعليقي ، (فيكفي من القلادة ما حاط بالعنق) ، و روعة الموقف أن يُترك هو من يـتكلم عـن نفسه ، وهؤلاء العلماء الذين سأتناول شيئاً من سيرهم ، منهم من تميز بالحديث ، و مـنهم مـن تميز بالإقراء و القراءات ، و منهم من جمع حظوظًا كثـيرة مـن العلـم ، ونـال منصـباً ، و تـولى التدريس.

و كلهم من رسول الله ملتمس***غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم[1]

---

[1] البردة للبوصيري

و من منهجيتي في التراجم لعلماء الحرمين خاصة : أنه إذا كان العالم الذي أترجم له إماماً للحرمين أو أحدهما أو مدرسًا فيهما ، أو أحدهما و لن أتطرق إلا لمن درس في الحرمين ، ومنهم من ألف عن الحرمين ، وإن كانت قصيرة وإشارات عامة ، مثل الشيخ عمر عبد الجبار من مشايخ مكة، ألف كتابًا فيه سير كل من درس في مكة في الحرم، وكذلك الشيخ محمد بن ناصر العبودي الرحالة، له رحلة من بريدة إلى المدينة ، تكلم عن رحلته بالتفصيل أيام الشباب ، وخرجت في كتيب رائع ، و التقى بالسعدي في الطريق، أفطر عند أحد المشايخ ، عند الشيخ ابن عقيل في عُنيزة ، و استضافه الشيخ السعدي ، ثم واصلوا للمدينة آخر العشر الأواخر ، ثم العيد وتكلم عن جميع الزيارات ، عن جميع زياراته للعلماء وللأماكن، فتجدوا فيها ذكر المعالم التي و العالم .

والشيخ عبد الله بن زاحم -رحمه الله- : إمام الحرم النبوي ، ألف كتابًا سماه (قضاة المدينة) وهو ليس بالطويل ، كل من مر اسمه من ضمن الوثائق والسجلات في محكمة المدينة يُقيده ويبحث عمن يعرف هذه الأسماء، وبعضهم أترك الكلام عنه إما لأني تكلمت عنه ، أو لمناسبته.

و مما يحسن الحديث عنه ، عرفاناً بالجميل ؛ لأن التعاون و التفاعل معدوم أو نادر إلا الشيء القليل ، و تحدثاً بنعمة الله ، فقد سبق لي الحديث عن سيرة الشيخ عبد الله الخليفي ، و الشيخ حماد الأنصاري ، و الشيخ عطية سالم ، و الشيخ عبد العزيز بن صالح ، و الشيخ عبد الله بن حميد ، و الشيخ علي طنطاوي ، و الشيخ عبد الله البسام ، و الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، كل هؤلاء تكلمت عنهم في محاضرات ، و ليست أخباراً ملتقطة ، و إنما محاضرات ، وفيهم

من لم يمت ، نسأل الله أن يمد بأعمارهم على الطاعة ، و أن يبارك فيهم ، و جهودهم ، كالعلامة الشيخ عبد المحسن العباد ، و الشيخ محمد السبيل ، و الشيخ عبد الرحمن العجلان.

أتحدث عن علماء معاصرين ، و منهجي ألاَّ أتكلم عن حي ؛ لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، و (اقتدوا بمن قد مات) ، و لما تحدثت عن الشيخ ابن عقيل –رحمه الله – كن ذلك لما جاوز الثمانين ، ذكرته من ضمن بعض محاضراتي ولم أسمه، ففي مُحاضراتي لا أذكر الأحياء. فمن باب العرفان و ردّ الجميل : لما أخرجت الشريط الأول (أخبار الصالحين) اتصل بي عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله الخليفي وهو إمام مسجد في مكة وموظف في الإمارة – وفقه الله وبارك فيه – ، وهذا من البر بوالده، اتصل بي وقال: مستعد أن أعطيك كل ما تريد عن الشيخ، وأخرجت ذلك في شريط من الأشرطة. فالتعاون من قبل بعض أقارب العلماء وتلاميذهم معدوم أو نادر، وبعضهم تطلب منه الشيء كأنك تطلبه الدين، حتى تكتب عن عمه أو خاله أو أحد أقاربه من العلماء ومع ذلك لم أجد تفاعلًا و لا تعاوناً .

ومما تجدر الإشارة إلى ذكره أن هذه التراجم المباركة لم أوفها حقها ، و لم أجلس لها جلوساً طويلاً للجمع ، إنما هي ملتقطات من عدة كتب ، و من عدة مسموعات و مجالس ، على أنه يصعب أن توجد في كتاب واحد مجتمعة .

فالنقص في أصل الطبيعة كامن***فبني الخليقة نقصهم لا ينكر